

خرجنا من النقيين لاجى مثلنا بآيتنا نزجى اللقاح المطافلا
وقيل سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثها قال سيويه وأصلها آية مثل أكمة وشجرة تحركت الياء وانفتح
ماقبلها فقلبت ألفا فصارت آية بهمزة بعدها مدة وقال الكسائي أصلها آية على وزن آمنة فقلبت ألفا ثم حذفت لالتباسها وقال
الفراء أصلها آية بتشديد الياء الأولى فقلبت ألفا كراهية التشديد فصارت آية وجمعها آى وآيات وآيى. وأما الكلمة فهي
اللفظة الواحدة وقد تكون على حرفين مثل ما ولا ونحو ذلك. وقد تكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل
(ليستخلفنهم) و(أنزكموها) (فأسقيناكموه). وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل والفجر والضحي والعصر وكذلك
الم وطه ويس وحم في قول الكوفيين وحم عسق عندهم كلمتان وغيرهم لا يسمى هذه آيات بل يقول هذه فواتح السور
وقال أبو عمرو الداني لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى (مدهامتان) بسورة الرحمن
(فصل) قال القرطبي أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية، وأجمعوا أن فيه أعلاما من
الأعجمية كإبراهيم ونوح ولوط واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالوا
ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافق في اللغات

سورة الفاتحة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

يقال لها الفاتحة أى فاتحة الكتاب خطا وبها تفتح القراءة في الصلوات ، ويقال لها أيضا أم الكتاب عند الجمهور ذكره
أنس ، والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك قال الحسن وابن سيرين إنما ذلك اللوح المحفوظ وقال الحسن الآيات
المحكات هن أم الكتاب ولها كرها أيضا أن يقال لها أم القرآن وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي وصححه عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني والقرآن العظيم »
ويقال لها (الحمد) ويقال لها (الصلاة) لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين
فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى » الحديث . فسميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها ويقال لها
(الشفاء) لما رواه الدارمي عن أبي سعيد مرفوعا « فاتحة الكتاب شفاء من كل سم » ويقال لها (الرقية) لحديث أبي سعيد
في الصحيح حين رقى بها الرجل السليم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنها رقية » ؟ وروى الشعبي
عن ابن عباس أنه سماها (أساس القرآن) قال وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم وسماها سفيان بن عيينة (بالواقية) وسماها
يحيى بن أبي كثير (الكافية) لأنها تكفي عما عداها ولا يكفي ماسواها عنها كما جاء في بعض الأحاديث المرسله « أم القرآن
عوض من غيرها وليس من غيرها عوض منها » ويقال لها سورة الصلاة والكنز ذكرها الزعزعي في كشافه

وهي مكية قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية ، وقيل مدنية قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري ويقال
نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة . والأول أشبه لقوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) والله تعالى أعلم
وحكى أبو الليث السمرقندي أن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة وهو غريب جدا نقله القرطبي عنه وهي
سبع آيات بلا خلاف وقال عمرو بن عبيد ثمان وقال حسين الجعفي ستة وهذا القولان شاذان وإنما اختلفوا في
البنسلة هل هي آية مستقلة من أولها كما هو عند جمهور قراء الكوفة وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من
الخلف أو بعض آية أو لاتعد من أولها بالكيفية كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء على ثلاثة أقوال كما
سيأتى تقريرها في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

قالوا وكلماتها خمس وعشرون كلمة وحرروفها مائة وثلاثة عشر حرفا قال البخارى في أول كتاب التفسير وسميت
أم الكتب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة وقيل إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله

إلى ما تضمنته . قال ابن جرير . والعرب تسمى كل جامع أمراً أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع - أما ، فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أما واستشهد بقول ذي الرمة على رأسه أم لنا تقتدى بها * جماع أمور ليس نعص لها أمراً

- يعنى الرمح - قال وسميت مكة أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها ما سواها وقيل لأن الأرض دحيت منها . ويقال لها أيضا الفاتحة لأنها تفتح بها القراءة وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الامام وصح تسميتها بالسبع المثاني قالوا لأنها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وإن كان للمثنى معنى آخر غير هذا كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . قال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا ابن أبي ذئب وهاشم بن هاشم عن ابن أبي ذئب عن القبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أم القرآن « هي أم القرآن وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم » ثم رواه عن إسماعيل بن عمر عن ابن أبي ذئب به وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : حدثني يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني » وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد بن محمد بن زياد ، حدثنا محمد بن غالب بن حارث ، حدثنا إسحاق بن عبد الواحد الموصلي ، حدثنا المعافى ابن عمران عن عبد الحميد بن جعفر عن نوح بن أبي بلال عن القبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « الحمد لله رب العالمين سبع آيات : بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم ، وهي أم الكتاب ، وفاتحة الكتاب » وقد رواه الدارقطني أيضا عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه أو مثله وقال كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي وابن عباس وأبي هريرة أنهم فسروا قوله تعالى (سبعا من المثاني) بالفاتحة وأن البسملة هي الآية السابعة منها وسيأتي تمام هذا عند البسملة . وقد روى الأعمش عن إبراهيم قال : قيل لابن مسعود : لم لم تكتب الفاتحة في مصحفك ؟ فقال : لو كتبتها لكتبها في أول كل سورة ، قال أبو بكر بن أبي داود يعني حيث يقرأ في الصلاة ، قال : واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابتها وقد قيل : إن الفاتحة أول شيء أنزل من القرآن كما ورد في حديث رواه البيهقي في دلائل النبوة ونقله الباقلاني أحد أقوال ثلاثة وقيل (يا أيها المدثر) كما في حديث جابر في الصحيح وقيل (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وهذا هو الصحيح كما سيأتي تقريره في موضعه والله المستعان

﴿ ذكر ماورد في فضل الفاتحة ﴾

قال الامام أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن العلى رضي الله عنه قال : كنت أصلى فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجد حية حتى صليت قال : فأثبته فقال « ما منعك أن تأتيني ؟ » قال قلت : يا رسول الله إني كنت أصلى قال : ألم يقل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم) ثم قال « لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد » قال : فأخذ بيدي فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت : يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قال « نعم ، (الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » وهكذا رواه البخاري عن مسدد وعلي بن المديني كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به ، ورواه في موضع آخر من التفسير ، وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن شعبة به ، ورواه الواقدي عن محمد بن معاذ الأنصاري عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن العلى عن أبي بن كعب فذكر نحوه . وقد وقع في الموطأ للإمام مالك بن أنس رحمه الله ما ينبغي التنبيه عليه فإنه رواه مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي أن أبا سعيد مولى ابن عامر بن كريز أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي في المسجد فلما فرغ من صلاته لحقه قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على يدي وهو يريد أن يخرج من باب المسجد ثم قال صلى الله عليه وسلم

« إني لأرجو أن لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الأنجيل ولا في القرآن مثلها » قال
أبي رضي الله عنه فجعلت أبطي في المثنى رجاء ذلك ثم قلت يا رسول الله ما السورة التي وعدتني ؟ قال « كيف تقرأ إذا
افتتحت الصلاة ؟ قال فقرأت عليه (الحمد لله رب العالمين) حتى أتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هي
هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت » فأبوسعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المعلى كما اعتقده ابن الأثير
في جامع الأصول ومن تبعه فان ابن المعلى صحابي أنصاري وهذا تابعي من موالى خزاعة وذلك الحديث متصل صحيح وهذا
ظاهره أنه منقطع إن لم يكن سمعه أبوسعيد هذا من أبي بن كعب فان كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلم والله أعلم . على
أنه قد روى عن أبي بن كعب من غير وجه كما قال الامام أحمد . حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا العلاء
ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بن كعب
وهو يصلي فقال يا أبا كعب فالتفت ثم لم يجبه ثم قال أبي فخفف أبي ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
السلام عليك أي رسول الله فقال وعليك السلام مامنك أي أبي إذ دعوتك أن تجيبني فقال أي رسول الله إني كنت
في الصلاة قال أولست تجد فيما أوحى الله تعالى إليّ (استجيوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيككم) قال بلى يا رسول الله
لا أعود قال أحب أن أعلمك سورة لم تنزل لافي التوراة ولا في الأنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ؟ قلت
نعم أي رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأرجو أن لا أخرج من هذا الباب حتى تعلمها قال فأخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي يحدثني وأنا اتبظاً مخافة ان يبلغ قبل ان يقضى الحديث فلما دنونا من الباب قلت
أي رسول الله ما السورة التي وعدتني ؟ قال ما تقرأ في الصلاة ؟ قال فقرأت عليه أم القرآن قال والذي نفسي بيده
ما أنزل الله في التوراة ولا في الأنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها إنها السبع المثاني ورواه الترمذي عن قتيبة
عن الداروردي عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكره وعندنا منها من السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي أعطيته ثم قال هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن أنس بن مالك ورواه عبد الله ابن الامام أحمد عن اسماعيل
ابن أبي معمر عن أبي أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب فذكره مطولاً
بنحوه وأقر بيامنه وقدره الترمذي والنسائي جميعاً عن أبي عمار حسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عبد الحميد
ابن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة
ولا في الأنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدى نصفين هذا لفظ النسائي وقال الترمذي
حديث حسن غريب وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا هاشم يعني ابن البريد حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل
عن جابر قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أهرق الماء فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد على
قال : فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد على قال : فقلت السلام عليك يا رسول الله فلم يرد على قال فانطلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمشي وأنا خلفه حتى دخل رحله ودخلت أنا المسجد فجلست كئيباً حزينا فخرج على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد تظهر فقال عليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وعليك السلام
ورحمة الله ثم قال « ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بأخير سورة في القرآن ؟ قلت بلى يا رسول الله قال اقرأ الحمد لله رب
العالمين حتى تحتها » هذا إسناد جيد وابن عقيل هذا يحتج به الأئمة الكبار وعبد الله بن جابر هذا الصحابي ذكره ابن الجوزي
أنه هو العبدى والله أعلم ويقال إنه عبد الله بن جابر الأنصاري البياضى فيما ذكره الحافظ ابن عساكر واستدلوا بهذا
الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والسور على بعض كما هو المحكى عن كثير من العلماء منهم إسحق بن راهويه
وأبو بكر بن العربي وابن الحفار من المالكية وذهبت طائفة أخرى إلى أنه لا تفاضل في ذلك لأن الجميع كلام الله
ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه وإن كان الجميع فاضلاً نقله القرطبي عن الأشعري وأبي بكر الباقلاني وأبي حاتم
ابن حبان البستي وأبي حيان ويحيى بن يحيى ورواية عن الامام مالك أيضاً حديث آخر قال البخاري في فضائل القرآن
حدثنا محمد بن الثني حدثنا وهب حدثنا هشام عن محمد بن معبد عن أبي سعيد الخدري قال كنا في مسير لنا فنزلنا

فجاءت جارية فقالت إن سيد الحى سليم وإن نفرنا غيب فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبىه برقية فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له أ كنت تحسن رقية أو كنت ترقى؟ قال لا مارقت إلا بأمر الكتاب قلنا لا نتحدثوا شيئا حتى نأتى ونسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « وما كان يدريه أنها رقية أقسموا واضربوا لى بسهم » وقال أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا هشام حدثنا محمد بن سيرين حدثني معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدرى بهذا وهكذا رواه مسلم وأبو داود من رواية هشام وهو ابن حسان عن ابن سيرين به وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث أن أبا سعيد الخدرى هو الذى رقى ذلك السليم يعنى اللديغ يسمونه بذلك تفاقولا حديث آخر : روى مسلم فى صحيحه والنسائى فى سننه من حديث أبى الأحوص سلام بن سليم عن عمار بن زريق عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبرائيل إذ سمع تقيضا فوقه فرجع جبريل بصره إلى السماء فقال : هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ حرفا منها إلا أوتيته ، وهذا لفظ النسائى

ولمسلم نحوه: حديث آخر قال مسلم حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى هو ابن راهويه حدثنا سفيان بن عيينة عن العلاء يعنى ابن عبد الرحمن بن يعقوب الخرقى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأمر القرآن فهى خداج ثلاثا غير تمام » قيل لأبى هريرة إنا نكون خلف الامام فقال اقرأ بها فى نفسك فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عز وجل « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فاذا قال (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدنى عبدى ، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله أثنى على عبدى ، فاذا قال (مالك يوم الدين) قال الله حمدنى عبدى ، وقال مرة فوض إلى عبدى ، فاذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال الله هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » وهكذا رواه النسائى عن إسحاق بن راهويه وقد رواه أيضا عن قتيبة عن مالك عن العلاء عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبى هريرة وفى هذا السياق « فنصفها لى ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل » وهكذا رواه ابن اسحاق عن العلاء وقد رواه مسلم من حديث ابن جريج عن العلاء عن أبى السائب هكذا ورواه أيضا من حديث ابن أبى أويس عن العلاء عن أبيه وأبى السائب كلاهما عن أبى هريرة وقال الترمذى هذا حديث حسن وسألت أبا زرعة عنه فقال كلا الحديثين صحيح من قال عن العلاء عن أبيه وعن العلاء عن أبى السائب وقد روى هذا الحديث عبد الله ابن الامام أحمد من حديث العلاء عن أبيه عن أبى هريرة عن أبى بن كعب مطولا وقال ابن جرير حدثنا صالح بن مسمار المرزوى حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عنبة بن سعيد عن مطرف بن طريف عن سعيد بن إسحاق عن كعب بن عجرة عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين وله ما سأل فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال حمدنى عبدى وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال أثنى على عبدى . ثم قال هذا لى وله ما بقى » وهذا غريب من هذا الوجه

﴿ الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه ﴾

(أحدها) أنه قد اطلق فيه لفظ الصلاة، والمراد القراءة كقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) أى بقراءتك كما جاء مصرح به فى الصحيح عن ابن عباس ، وهكذا قال فى هذا الحديث « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل » ثم بين تفصيل هذه القسمة فى قراءة الفاتحة فدل على عظمة القراءة فى الصلاة وأنها من أكبر أركانها. إذ أطلقت العبادة وأريدها جزء واحد منها وهو القراءة كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصلاة فى قوله (وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهودا) والمراد صلاة الفجر كما جاء مصرح به فى الصحيحين « انه يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار » فدل هذا كله على أنه لا بد من القراءة فى الصلاة وهو اتفاق من العلماء،

ولكن اختلفوا في مسألة نذرها في الوجه الثاني ، وذلك أنه هل يتعين للقراءة في الصلاة غير فاتحة الكتاب أم تجزىء هي أو غيرها ؟ على قولين مشهورين فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم ؛ أنها لاتتعين بل مهما قرأ به من القرآن أجزاءه في الصلاة واحتجوا بعموم قوله تعالى (فاقروا ما تيسر من القرآن) وبما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة المسء في صلاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » قالوا فأمره بقراءة ما تيسر ولم يعين له الفاتحة ولا غيرها فدل على ما قلنا

(والقول الثاني) أنه تتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ولا تجزىء الصلاة بدونها ؛ وهو قول بقية الأئمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجمهور العلماء ، واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج » والخداج هو الناقص كما فسره في الحديث « غير تمام » واحتجوا أيضا بما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » . وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجزىء صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن » والأحاديث في هذا الباب كثيرة ووجه المناظرة ههنا يطول ذكره وقد أشرنا إلى مأخذهم في ذلك رحمهم الله

ثم إن مذهب الشافعي وجماعة من أهل العلم أنه تجب قراءتها في كل ركعة. وقال آخرون : إنما تجب قراءتها في معظم الركعات وقال الحسن وأكثر البصريين : إنما تجب قراءتها في ركعة واحدة من الصلوات أخذنا بمطلق الحديث « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والأوزاعي : لاتتعين قراءتها بل لو قرأ بغيرها أجزاءه لقوله تعالى (فاقروا ما تيسر من القرآن) والله أعلم . وقد روى ابن ماجه من حديث أبي سفيان السعدي عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعا « لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة في فريضة أو غيرها » وفي صحة هذا نظر وموضع تحرير هذا كله في كتاب الأحكام الكبير والله أعلم

(والوجه الثالث) هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم ؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء (أحدها) أنه تجب عليه قراءتها كما تجب على إمامه لعموم الأحاديث المتقدمة (والثاني) لاتجب على المأموم قراءة بالكلية للفاتحة ولا غيرها لافي صلاة الجهرية ولا في صلاة السرية لما رواه الامام أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كان له إمام فقرأه الامام له قراءة » ولكن في إسناده ضعف . ورواه مالك عن وهب بن كيسان عن جابر من كلامه ؛ وقد روى هذا الحديث من طرق ولا يصح شيء منها عن النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم (والقول الثالث) أنه تجب القراءة على المأموم في السرية لما تقدم ، ولا يجب ذلك في الجهرية لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما جعل الامام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ؛ وإذا قرأ فأنصتوا » وذكر بقية الحديث ، وهكذا رواه بقية أهل السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « وإذا قرأ فأنصتوا » وقد صححه مسلم بن الحجاج أيضا ، فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول وهو قول قديم للشافعي رحمه الله ؛ والله أعلم . ورواية عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى - والغرض من ذكر هذه المسائل ههنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور . وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا غسان بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت »

﴿ تفسير الاستعاذة وأحكامها ﴾

قال الله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) * وإما ينزغك من الشيطان نزع فاستعد بالله إنه سميع عليم) وقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين

وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم * وإما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) فهذه ثلاث آيات ليس لمن رابعة في معناها وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والاحسان إليه ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والصفاة ، ويأمر بالاستعانة به من العدو الشيطاني لاحتالة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ولا يتبغى غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى (يا بني آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبايكم من الجنة) وقال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام انه لمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال (فبغزتكم لأغونهم أجمعين * لإعبادك منهم المخلصين) وقال تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)

قالت طائفة من القراء وغيرهم يتعوذ بعد القراءة واعتمدوا على ظاهر سياق الآية ولدفع الاعجاب بعد فراغ العبادة ، ومن ذهب إلى ذلك حمزة فيما نقله عنه ابن فلوفا وأبو حاتم السجستاني حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن علي بن جنادة الهذلي المغربي في كتاب العبادة الكامل : وروى عن أبي هريرة أيضا وهو غريب ، ونقله محمد بن عمر الرازي في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه قال . وهو قول ابراهيم النخعي وداود بن علي الأصماني الظاهري . وحكى القرطبي عن أبي بكر بن العربي عن المجموعة عن مالك رحمه الله أن القارئ يتعوذ بعد الفاتحة ، واستغربه ابن العربي . وحكى قولاً ثالثاً وهو الاستعانة أولاً وآخرها جمعاً بين الدليلين ، نقله الرازي . والمشهور الذي عليه الجمهور أن الاستعانة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها - ومعنى الآية عندهم (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أي إذا أردت القراءة كقوله تعالى (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) الآية أي إذا أردتم القيام ، والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا محمد بن الحسن بن أنس حدثنا جعفر بن سليمان عن علي بن علي الرفاعي البشكري عن أبي التوكل التاجي عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك وتعالى جدك ، ولا إله غيرك - ثم يقول - لا إله الا الله - ثلاثاً ثم يقول - أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه » وقدرناه أهل السنن الأربعة من رواية جعفر بن سليمان عن علي بن علي وهو الرفاعي ، وقال الترمذي ، هو أشهر شيء في هذا الباب ، وقد فسر الهمز بالموتة وهي الحق ، والنفخ بالكبر والنفث بالشعر . كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن عاصم الغزي عن نافع بن جبير المطعم عن أبيه قال . رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين دخل في الصلاة قال « الله أكبر كبيراً ثلاثاً ، الحمد لله كثيراً ثلاثاً ، سبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثاً ، - اللهم اني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه » قال عمر : وهمزه الموتة ونفخه الكبر ونفثه الشعر وقال ابن ماجه . حدثنا علي بن المنذر ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه قال : همزه الموتة ونفخه الكبر ونفثه الشعر وقال الامام أحمد : حدثنا اسحاق بن يوسف ، حدثنا شريك عن يعلى بن عطاء عن رجل حدثه أنه سمع أبا أمامة الباهلي يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة كبر ثلاثاً ثم قال « لا إله الا الله ثلاث مرات ، وسبحان الله . وبحمده ثلاث مرات » ثم قال « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وقال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثني الموصلي في مسنده ، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان الكوفي ، حدثنا علي بن هشام بن البريد عن يزيد بن زياد عن عبد الملك ابن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : تلاحي رحلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فتزع

أنف أحدهما غضباً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنى لأعلم شيئا لو قاله لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » وكذا رواه النسائي في اليوم واللييلة عن يوسف بن عيسى الروزى عن الفضل بن موسى عن يزيد بن زياد بن أبي الجعدية ، وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل عن أبي سعيد عن زائدة وأبو داود عن يوسف بن موسى عن جرير ابن عبد الحميد والترمذى والنسائي في اليوم واللييلة عن بندار عن ابن مهدي عن الثوري والنسائي أيضا من حديث زائدة ابن قدامة ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال . استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما غضباً شديداً حتى يخيل الى أن أحدهما يتمزع أنفه من شدة غضبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب » فقال . ماهى يارسول الله ، قال يقول « اللهم انى أعوذ بك من الشيطان الرجيم » قال . فجعل معاذ يأمره فأبى وجعل يزداد غضباً وهذا لفظ أبي داود، وقال الترمذى : مرسل يعنى أن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل فانه مات قبل سنة عشرين (قلت) وقد يكون عبد الرحمن بن أبي ليلى سمعه من أبي بن كعب كما تقدم وبلغه عن معاذ بن جبل فان هذه القصة شهدها غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم . قال البخارى . حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن الأعمش عن عدى بن ثابت قال : قال سليمان بن صرد رضى الله عنه . استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس فأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انى لست بمجنون ، وقد رواه أيضاً مع مسلم وأبي داود والنسائي من طرق متعددة عن الأعمش به

وقد جاء فى الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها ههنا وموطنها كتاب الأذكار وفوائد الأعمال والله أعلم وقد روى أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالاستعاذة كما قال الامام أبو جعفر بن جرير ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عثمان بن سعيد ، حدثنا بشر بن عمارة حدثنا أبو روق عن الضحاک عن عبد الله بن عباس قال . أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال « يا محمد استعذ » قال « أستعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ثم قال « قل بسم الله الرحمن الرحيم » ثم قال (اقرأ باسم ربك الذى خلق) قال عبد الله : وهى أول سورة أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل . وهذا الأثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان فى اسناده ضعفاً واقطاعاً والله أعلم .

(مسألة) وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمنتهمة يأثم تاركها وحكى الرازى عن عطاء بن أبى رباح وجوبها فى الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة قال ، وقال ابن سيرين . اذا تعوذ مرة واحدة فى عمره فقد كفى فى اسقاط الوجوب واحتج الرازى لعطاء بظاهر الآية (فاستعذ) وهو أمر ظاهره الوجوب وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها ولأنها تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب وقال بعضهم . كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته وحكى عن مالك أنه لا يتعوذ فى المكتوبة ويتعوذ ليقام رمضان فى أول ليلة منه .

(مسألة) وقال الشافعى فى الاملاء يجهر بالتعوذ وان أسر فلا يضر وقال فى الأم بالتخير لانه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة واختلف قول الشافعى فيما عدا الركعة الأولى هل يستحب التعوذ فيها على قولين ورجح عدم الاستحباب والله أعلم فاذا قال المستعذ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعى وأبى حنيفة وزاد بعضهم . أعوذ بالله السميع العليم وقال آخرون بل يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم قاله الثورى والأوزاعى وحكى عن بعضهم انه يقول أستعذ بالله من الشيطان الرجيم لمطابقة امر الآية والحديث الضحاک عن ابن عباس المذكور والاحاديث الصحيحة كما تقدم أولى بالاتباع من هذا والله أعلم

(مسألة) ثم الاستعاذة فى الصلاة اما هى للتلاوة وهو قول أبى حنيفة ومحمد ، وقال أبو يوسف بل للصلاة فعلى

هذا يتعوذ المأموم وان كان لا يقرأ ويتعوذ في العيد بعد الاحرام وقبل تكبيرات العيد والجمهور بعدها قبل القراءة ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطيب له وهو لتلاوة كلام الله وهي استعانة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو البين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالاحسان بخلاف العدو من نوع الانسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني وقال تعالى (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان. وكفى بربك وكيلًا) وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري فمن قتله العدو الظاهر البشري كان شهيدا ، ومن قتله العدو الباطني كان طريدا . ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجورا ، ومن قهره العدو الباطني كان مفتونا أو موزورا ، ولما كان الشيطان يرى الانسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان .

﴿ فصل ﴾ والاستعاذة هي اللجوء إلى الله تعالى والاتصاف بجنابه من شر كل ذي شر والعيادة تكون لدفع الشر واللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قال المتنبي :

يامن ألوذ به فيما أومله * ومن أعوذ به بمن أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره * ولا يهضون عضا أنت جابره

ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أى استجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرنى فى دينى أو دنياى أو يصدنى عن فعل ما أمرت به ، أو يحنثنى على فعل ما نهيت عنه فان الشيطان لا يكفه عن الانسان إلا الله ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الانس ومداراته باسداء الجميل اليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذى خلقه وهذا المعنى فى ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لمن رابعة قوله فى الأعراف (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر ثم قال (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه سميع عليم) وقال تعالى فى سورة قداً فليح المؤمنون (ادفع بالتي هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون *) وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى فى سورة حم السجدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه هو السميع العليم)

الشيطان فى لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طباغ البشر وبعيد بنفسه عن كل خير وقيل مشتق من شاط لأنه مخلوق من نار ومنهم من يقول كلاهما صحيح فى المعنى ولكن الأول أصح وعليه يدل كلام العرب قال أمية بن أبى الصلت فى ذكر ما أوتى سليمان عليه السلام

أيمًا شاطن عصاه عكاه * ثم يلقى فى السجن والأغلال

فقال أيمًا شاطن ولم يقل أيمًا شائظ وقال النابغة الذبياني وهو زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن ربوع بن مرة بن سعد بن ذبيان

نأت بسعاد عنك نوى شطون * فبانت والنوؤاد بها رهين

يقول بعدت بها طريق بعيدة وقال سيويه : العرب تقول تشيطان فلان إذا فعل فعل الشياطين ولو كان من شاط لتقالوا تشيط فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح ولهذا يسمون كل من تمرد من حنى وإنسى وحيوان شيطانًا قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وفى مسند الامام أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر « تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن » فقلت أولانس شياطين ؟ قال « نعم » وفى صحيح مسلم عن أبى ذر أيضا قال : قال رسول الله ﷺ « يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الأسود » فقلت يا رسول الله ما بال الكلب الأسود من الأحمر والأصفر ؟ فقال الكلب الأسود

شيطان وقال ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترا فترل عنه وقال ما حملتوني إلا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسى إسناده صحيح . والرجم فعيل بمعنى مفعول أى انه مرجوم مطرود عن الخير كله كما قال تعالى (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) وقال تعالى (إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى اللأطى ويقذفون من كل جانب * دحورا ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وقال تعالى (ولقد جعلنا فى السماء رجوما للشياطين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) إلى غير ذلك من الآيات وقيل رجيم بمعنى راجم لأنه يرمم الناس بالوساوس والريث والأول أشهر وأصح

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ افتتح بها الصحابة كتاب الله واتفق العلماء على أنها بعض آية من سورة النمل ثم اختلفوا هل هى آية مستقلة فى أول كل سورة أو من أول كل سورة كتبت فى أولها أو أنها بعض آية من كل سورة أو إنها كذلك فى الفاتحة دون غيرها أو إنها إنما كتبت للفصل لأنها آية على أقوال للعلماء سلفا وخلفا وذلك مبسوط فى غير هذا الموضع وفى سنن أبى داود بإسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النيسابورى فى مستدركه أيضا وروى مرسل عن سعيد بن جبير وفى صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة فى أول الفاتحة فى الصلاة وعدها آية لكنه من رواية عمر بن هارون البلخى وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عنها وروى له الدارقطنى متابعا عن أبى هريرة مرفوعا وروى مثله عن على وابن عباس وغيرهما ومن حكى عنه أنها آية من كل سورة إلا براءة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو هريرة وعلى ومن التابعين عطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول والزهرى وبه يقول عبد الله بن المبارك والشافعى وأحمد بن حنبل فى رواية عنه وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم ابن سلام رحمهم الله وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وقال الشافعى فى قول فى بعض طرق مذهبه هى آية من الفاتحة وليست من غيرها وعنه أنها بعض آية من أول كل سورة وهما غريبان وقال داود هى آية مستقلة فى أول كل سورة لأنها رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وحكاه أبو بكر الرازى عن أبى الحسن الكرخى وهما من أكابر أصحاب أبى حنيفة رحمهم الله . هذا ما يتعلق بكونها آية من الفاتحة أم لا

فأما الجهر بها ففرع على هذا فمن رأى أنها ليست من الفاتحة فلا يجهر بها وكذا من قال إنها آية فى أولها وأما من قال بأنها من أوائل السور فاختلفوا فذهب الشافعى رحمه الله إلى أنه يجهر بها مع الفاتحة والسورة وهو مذهب طوائف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين سلفا وخلفا فجهر بها من الصحابة أبو هريرة وابن عمر وابن عباس ومعاوية وحكاه ابن عبد البر والبيهقى عن عمر وعلى ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وهو غريب ومن التابعين عن سعيد بن جبير وعكرمة وأبى قلابة والزهرى وعلى بن الحسن وابنه محمد وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس ومجاهد وسالم ومحمد بن كعب القرظى وعبيد وأبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وأبى وائل وابن سيرين ومحمد بن المنكدر وعلى بن عبد الله بن عباس وابنه محمد ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم وعمر بن عبد العزيز والأزرق بن قيس وحبيب بن أبى ثابت وأبى الشعثاء ومكحول وعبد الله بن مغفل بن مقرن زاد البيهقى وعبد الله بن صفوان ومحمد ابن الحنفية زاد ابن عبد البر وعمرو بن دينار والحجة فى ذلك أنها بعض الفاتحة فيجهر فيها كسائر أبعاضها وأيضا فقد روى النسائى فى سننه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما والحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة أنه صلى فجهر فى قراءته بالبسملة وقال بعد أن فرغ إنى لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه الدارقطنى والخطيب والبيهقى وغيرهم وروى أبو داود والترمذى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم ثم قاله الترمذى وليس إسناده بذلك وقد رواه الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر

بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفي صحيح البخارى عن أنس بن مالك أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال كانت قراءته مداثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد بسم الله ومد الرحمن ومد الرحيم . وفي مسند الامام أحمد وسنن أبي داود وصحيح ابن خزيمة ومستدرك الحاكم عن أم سلمة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته : بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم مالك يوم الدين * وقال الدارقطنى إسناده صحيح وروى الامام أبو عبدالله الشافعى والحاكم فى مستدركه عن أنس بن معاوية صلى بالمدينة فترك البسملة فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك فلما صلى المرة الثانية بسم . وفي هذه الأحاديث والآثار التى أوردناها كفاية ومقنع فى الاحتجاج لهذا القول عما عداها . فأما المعارضات والروايات الغريبة وتطريقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضع آخر وذهب آخرون بأنه لا يجهر بالبسملة فى الصلاة وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة وعبدالله بن مغفل وطوائف من سلف التابعين والخلف وهو مذهب أبى حنيفة والثورى وأحمد بن حنبل . وعند الامام مالك أنه لا يقرأ بالبسملة بالكلية لا جهرًا ولا سرا واحتجوا بما فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وبما فى الصحيحين عن أنس بن مالك قال صليت خلف النبي ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين ولمسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول قراءة ولا فى آخرها ونحوه فى السنن عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه فهذه مأخذ الأئمة رحمهم الله فى هذه المسألة وهى قريبة لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر والله الحمد والمنة

فصل فى فضلها

قال الامام العالم الحبر العابد أبو محمد عبدالرحمن بن أبى حاتم رحمه الله فى تفسيره حدثنا أبى حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا زيد بن المبارك الصنعانى حدثنا سلام بن وهب الجندى حدثنا أبى عن طاوس عن ابن عباس أن عثمان بن عفان سأل رسول الله ﷺ عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال « هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين وياضهما من القرب » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن سليمان بن احمد عن علي بن المبارك عن زيد بن المبارك به وقد روى الحافظ بن مردويه من طريقين عن اسماعيل بن عياش عن اسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن عيسى بن مريم عليه السلام أسلمته امه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم : اكتب فقال . ما أكتب ؟ قال بسم الله قال له عيسى : وما باسم الله ؟ قال المعلم : ما أدري قال له عيسى . الباء بهاء الله والسين سناؤه ، والميم مملكته ، ، والله إله الآلهة ، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة ، والرحيم رحيم الآخرة » وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن العلاء الملقب بابن زريق عن اسماعيل بن عياش عن اسماعيل بن يحيى عن ابن ابى مليكة عن عمن حدثه عن ابن مسعود ومسعر عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ فذكره وهذا غريب جدا ، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ﷺ ، وقد يكون من الاسرائيليات لا من المرفوعات والله اعلم . وقد روى جوير عن الضحاك نحوه من قبله ، وقد روى ابن مردويه من حديث يزيد بن خالد عن سليمان بن بريدة وفى رواية عن عبدالكريم ابى امية عن أبى بريدة عن ابيه ان رسول الله ﷺ قال « أنزلت على آية لم تنزل على نبي غير سليمان بن داود وغيرى وهى بسم الله الرحمن الرحيم ، وروى بإسناده عن عبد الكريم الكبير بن المعافى بن عمران عن ابيه عن عمر بن ذر عن عطية بن ابى رباح عن جابر بن عبد الله قال . لما نزل (بسم الله الرحمن الرحيم) هرب الغيم إلى الشرق وسكنت الرياح ، وهاج البحر ، وأصغت البهائم بأذانها ، ورجمت الشياطين من السماء ، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله ان لا يسمى اسمه على شىء إلا بارك فيه . وقال وكيع عن الأعمش عن أبى وائل عن ابن مسعود قال من اراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فيجعل الله له من كل حرف منها جنة من كل واحد ، ذكره ابن عطية والقرطبى ووجهه ابن عطية ونصره بحديث

لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها لقول الرجل ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفا وغير ذلك وقال الامام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم قال : سمعت أبا عبيدة يحدث عن رديف النبي ﷺ قال : عثر بالنبي ﷺ . فقلت تعس الشيطان فقال النبي ﷺ « لا تقل تعس الشيطان ؛ فانك إذا قلت تعس الشيطان تعاطم وقال بقوتي صرغته ، وإذا قلت باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الدباب » هكذا وقع في رواية الامام أحمد ، وقد روى النسائي في اليوم والليلة وابن مردويه في تفسيره من حديث خالد الحذاء عن أبي تيمة وهو الهجيمي عن أبي الليخ بن أسامة بن عمير عن أبيه قال . كنت رديف النبي ﷺ فذكره وقال « لا تقل هكذا فانه يتعاطم حتى يكون كالبيت ، ولكن قل باسم الله فانه يصغر حتى يكون كالذباب » فهذا من تأثير بركة باسم الله ، ولهذا تستحب في أول كل عمل وقول . فتستحب في أول الخطبة لما جاء « كل أمر لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو أجسم » وتستحب البسمة عند دخول الخلاء لما ورد من الحديث في ذلك وتستحب في أول الوضوء لما جاء في مسند الامام أحمد والسنن من رواية أبي هريرة وسعيد بن زيد وأبي سعيد مرفوعا « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » وهو حديث حسن . ومن العلماء من أوجبها عند الذكر ههنا ومنهم من قال بوجوبها مطلقا وكذا تستحب عند النسيحة في مذهب الشافعي وجماعة وأوجبها آخرون عند الذكر ومطلقا في قول بعضهم كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله وقد ذكر الرازي في تفسيره في فضل البسمة أحاديث منها عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إذا أتيت أهلك فسم الله فانه إن وجد لك ولد كتب لك بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسنة » وهذا لا أصل له ولا رأيت في شيء من الكتب المعتمدة عليها ولا غيرها . وهكذا تستحب عند الأكل لما في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لربيبة عمر بن أبي سلمة « قل باسم الله وكل يمينك وكل مما يليك » ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه وكذلك تستحب عند الجماع لما في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا »

ومن ههنا ينكشف لك ان القولين عند النجاة في تقدير المتعلق بالباء في قوله باسم الله هل هو اسم او فعل متقاربان ، وكل قد ورد به القرآن ، اما من قدره باسم تقديره باسم الله ابتدائي فلقوله تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) ومن قدره بالفعل امرأ او خبرا نحو أبدأ باسم الله او ابتدأت باسم الله فلقوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وكلاهما صحيح فان الفعل لا بدله من مصدر فلك ان تقدر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله إن كان قياما او قعودا او أكلا او شربا او قراءة او وضوءا او صلاة فالشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله تبركا وتيمنا واستعانة على الآعام والتقبل والله اعلم . ولهذا روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال إن اول ما نزل به جبريل على محمد ﷺ قال « يا محمد قل أستعين بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال : قل (بسم الله الرحمن الرحيم) قال : قال له جبريل باسم الله يا محمد يقول اقرأ بذكر الله ربك وطم واقعد بذكر الله تعالى » لفظ ابن جرير

وأما مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره ففيها للناس ثلاثة أقوال ، أحدها أن الاسم هو المسمى ، وهو قول أبي عبيدة وسيبويه ، واختاره الباقلاني وابن فورك وقال الرازي وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب الري في مقدمات تفسيره . قالت الحشوية والكرامية والأشعرية الاسم نفس المسمى وغير نفس التسمية ، وقالت المعتزلة الاسم غير المسمى ونفس التسمية ، واختار عندنا ان الاسم غير المسمى وغير التسمية ، ثم تقول إن كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات متقطعة وحروف مؤلفة ، فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى وإن كان المراد بالاسم ذات المسمى ، فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات وهو عبث ، ثبت ان الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجري مجرى العبث . ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم للمسمى ، بأنه قد يكون الاسم موجودا والمسمى مفقودا كلفظة

المدوم وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعددة كالترادفة وقد يكون الاسم واحدا والمسميات متعددة كالمتشرك وذلك دال على تعابير الاسم والمسمى وأيضا فالاسم لفظ وهو عرض والمسمى قد يكون ذاتا ممكنة أو واجبة بذاتها وأيضا فلفظ النار والثلج لو كان هو المسمى لوجد الالفاظ بذلك حر النار أو برد الثلج ونحو ذلك ولا يقوله عاقل وأيضا فقد قال الله تعالى (والله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن لله تسعة وتسعين اسما » فهذه أسماء كثيرة والمسمى واحد وهو الله تعالى وأيضا فقولته (والله الأسماء) أضافها إليه كما قال (فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك فالإضافة تقتضى المغايرة وقوله تعالى (فادعوه بها) أى فادعوا الله بأسمائه وذلك دليل على أنها غيره واحتج من قال الاسم هو المسمى بقوله تعالى (تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام) والتبارك هو الله تعالى والجواب أن الاسم معظم لتعظيم الذات المقدسة وأيضا فاذا قال الرجل زينب طالق يعنى امرأته طلقت ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق والجواب أن المراد أن الذات المسماة بهذا الاسم طالق . قال الرازى : وأما التسمية فانها جعل الاسم معنا لهذا الذات فهى غير الاسم أيضا والله أعلم

(الله) علم على الرب تبارك وتعالى يقال إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى (والله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وفى الصحيحين عن أنى هزيمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة » وجاء تعدادها فى رواية الترمذى وابن ماجه وبين الروايتين اختلاف زيادة ونقصان وقد ذكر الرازى فى تفسيره عن بعضهم أن لله خمسة آلاف اسم ألف فى الكتاب والسنة الصحيحة وألف فى التوراة وألف فى الإنجيل وألف فى الزبور وألف فى اللوح المحفوظ وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف فى كلام العرب له اشتقاق من فعل يفعل فذهب من ذهب من النحاة إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له وقد نقله القرطبي عن جماعة من العلماء منهم الشافعى والخطابى وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم وروى عن الخليل وسيبويه أن الألف واللام فيه لازمة قال الخطابى ألا ترى أنك تقول يا الله ولا تقول يا الرحمن فلو لا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام وقيل إنه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج
لله در العنايات المسده * سبحن واسترجعن من تألهى

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر وهو التأله من أله يأله وإلهة وتألهما كما روى عن ابن عباس أنه قرأ (ويدرك وإلهتك) قال عبادتك أى إنه كان يعبد ولا يعبد وكذا قال مجاهد وغيره وقد استدل بعضهم على كونه مشتقا بقوله تعالى (وهو الله فى السموات وفى الأرض) كما قال تعالى (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) ونقل سيبويه عن الخليل أن أصله إله مثل فعال فأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة قال سيبويه مثل الناس أصله إناس وقيل أصل الكلمة لاه فدخلت الألف واللام للتعظيم وهذا اختيار سيبويه . قال الشاعر :

لاه ابن عمك لأفضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

قال القرطبي بالحاء المعجمة أى فتنسوسنى وقال الكسائى والفراء أصله الإله حذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى فى الثانية كما قال (لكنا هو الله ربى) أى لكنى أنا وقد قرأها كذلك الحسن ، قال القرطبي ثم قيل هو مشتق من وله إذا تحير والوله ذهاب العقل يقال رجل واله وامرأة وهى ومولوهة إذا أرسل فى الصحراء فأنه تعالى يحير أولئك فى الفكر فى حقائق صفاته فعلى هذا يكون ولاء فأبدلت الواو همزة كما قالوا فى وشاخ اشاح ووسادة اسادة وقال الرازى وقيل انه مشتق من ألهمت الى فلان أى سكنت إليه فالقول لا تسكن إلا الى ذكره ، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته لأنه الكامل على الاطلاق دون غيره قال الله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا) قال وقيل من لاه يلوه إذا احتجب

وقيل اشتقاقه من أله الفصيل أولع بأمه والمعنى أن العباد مألوهون مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال قال وقيل مشتق من أله الرجل يأله إذا فزع من أمر نزل به فأله أي أجاره فالمخير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه لقوله تعالى (وهو يجير ولا يجار عليه) وهو المنعم لقوله تعالى (وما بكم من نعمه فمن الله) وهو المطعم لقوله تعالى (وهو يطعم ولا يطعم) وهو الموجد لقوله تعالى (قل كل من عند الله) وقد اختار الرازي أنه اسم غير مشتق البتة قال وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوده منها أنه لو كان مشتقا لاشترك في معناه كثيرون ومنها أن بقية الأسماء تذكر صفات له فتقول الله الرحمن الرحيم الملك القدوس فدل أنه ليس بمشتق قال فأما قوله تعالى (العزيز الحميد الله) على قراءة الجر فجعل ذلك من باب عطف البيان ومنها قوله تعالى (هل تعلم له سميا) وفي الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامدا غير مشتق نظر والله أعلم .

وحكى الرازي عن بعضهم أن اسم الله تعالى عبراني لا عربي ثم ضعفه وهو حقيق بالتضعيف كما قال وقد حكى الرازي هذا القول ثم قال واعلم أن الخلائق قسبان واصلون إلى ساحل بحر المعرفة ومحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة وتيه الجهالة فكأنهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم وأما الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النور وفسحة الكبرياء والجلال فتأهوا في ميادين الصمدية وبادوا في عرصة الفردانية فثبت أن الخلائق كلهم والمون في معرفته ، وروى عن الخليل بن أحمد أنه قال لأن الخلق يأهون إليه بفتح اللام وكسرهما لغتان ، وقيل إنه مشتق من الارتفاع فكانت العرب تقول لكل شئ مرتفع لاهها وكانوا يقولون إذا طلعت الشمس لاهت وقيل إنه مشتق من أله الرجل إذا تعبد وتأله إذ تنسك وقرأ ابن عباس (ويندرك وإلهتك) وأصل ذلك الإله فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام الزائدة في أولها للتعريف فأدغمت إحداهما في الأخرى فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة وفخمت تعظيما فقيل الله (الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا وفي تفسير بعض السلف ما يدل على ذلك كما تقدم في الأثر عن عيسى عليه السلام انه قال والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة وزعم بعضهم انه غير مشتق إذ لو كان كذلك لاتصل بذكر المرحوم وقد قال (وكان بالمؤمنين رحيا) وحكى ابن الانباري في الزاهر عن المبرد ان الرحمن اسم عبراني ليس بعربي وقال ابو اسحاق الزجاج في معاني القرآن : وقال أحمد بن يحيى الرحيم عربي والرحمن عبراني فلهذا جمع بينهما قال ابو اسحق وهذا القول مرغوب عنه وقال القرطبي والدليل على انه مشتق ماخرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » قال وهذا نص في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق ، قال وانكار العرب لاسم الرحمن لجبهتهم بالله وبما وجب له قال القرطبي ثم قيل هما بمعنى واحد كندمان ونديم قال ابو عبيد وقيل ليس ببناء فعلان كفعيل فان فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل نحو قولك رجل غضبان للرجل الممتلي غضبا وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والفعول قال ابو على الفارسي الرحمن اسم عام في جميع انواع الرحمة يختص به الله تعالى والرحيم انما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيا) وقال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر أي اكثر رحمة ثم حكى عن الخطابي وغيره انهم استشكلوا هذه الصفة وقالوا لعله ارفق كما في الحديث « ان الله رقيق يحب الرفق في الامر كله وانه يعطى على الرفق مالا يعطى على العنف » وقال ابن المبارك الرحمن اذا سئل اعطى والرحيم اذا لم يسأل يفضب وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي صالح الفارسي الخوزي عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من لم يسأل الله يفضب عليه » وقال بعض الشعراء

الله يفضب ان تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يفضب

وقال ابن جرير حدثنا السري بن يحيى التميمي حدثنا عثمان بن زفر سمعت العزري يقول الرحمن الرحيم قال الرحمن لجميع الخلق الرحيم قال بالمؤمنين قالوا ولهذا قال (ثم استوى على العرش الرحمن) وقال (الرحمن على العرش

استوى) فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته وقال (وكان بالمؤمنين رحيمًا) فخصهم باسمه الرحيم قالوا فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه والرحيم خاصة بالمؤمنين لكن جاء في الدعاء المأثور رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما واسمهما تعالى الرحمن خاص به لم يسم به غيره كما قال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أن يجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ولما تجهرهم مسيلمة الكذاب وتسمى برحمن اليمامة كساه الله جلاب الكذب وشهر به فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضرة من أهل الدر وأهل الدير من أهل البادية والأعراب

وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن لأنه أكد به والمؤكد لا يكون إلا أقوى من المؤكد والجواب أن هذا ليس من باب التأكيد وإنما هو من باب النعت ولا يلزم فيه ما ذكره وعلى هذا فيكون تقدير اسم الله الذي لم يسم به أحد غيره ووصفه أولاً بالرحمن الذي منع من التسمية به لغيره كما قال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وإنما تجهرهم مسيلمة اليمامة في التسمية به ولم يتابعه على ذلك إلا من كان معه في الضلالة. وأما الرحيم فإنه تعالى وصف به غيره حيث قال (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) كما وصف غيره بذلك من أسمائه كما قال تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبثليه فجعلناه سمياً بصيراً) والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك فلماذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لأنه أخص وأعرف من الرحيم لأن التسمية أولاً وإنما تكون بأشرف الأسماء فلماذا ابتدأ بالأخص فالأخص. فان قيل فإذا كان الرحمن أشد مبالغة فهلا كتبت به عن الرحيم فقد روى عن عطاء الخراساني ما معناه أنه لما تسمى غيره تعالى بالرحمن جاء بلفظ الرحيم ليقطع الوهم بذلك فإنه لا يوصف بالرحمن الرحيم إلا الله تعالى، كذا رواه ابن جرير عن عطاء. ووجهه بذلك والله أعلم وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن حتى رد الله عليهم ذلك بقوله (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى) ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية لما قال رسول الله ﷺ لعلنا كتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فقالوا لا نعرف الرحمن ولا الرحيم رواه البخاري وفي بعض الروايات لا نعرف الرحمن إلا الرحمن اليمامة وقال تعالى (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) والظاهر أن إنكارهم هذا إنما هو جحود وعناد وتعت في كفرهم فإنه قد وجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالى بالرحمن قال ابن جرير وقد أنشد بعض الجاهلية الجهال:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها * ألا قبض الرحمن ربي عينيها

وقال سلامة بن جندب الطهوي: عجلتم علينا إذ عجلنا عليكم * وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا بشر بن عمارة حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال الرحمن الفعالان من الرحمة هو من كلام العرب وقال (الرحمن الرحيم) الرفيق الرقيق لمن أحب أن يرحمه والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه، وكذلك أسماؤه كلها. وقال ابن جرير أيضاً حدثنا محمد بن بشر حدثنا حماد بن مسعدة عن عوف عن الحسن قال الرحمن اسم ممنوع. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو الأشهب عن الحسن قال الرحمن اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه تسمى به تبارك وتعالى. وقد جاء في حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقطع قراءته حرفاً حرفاً (بسم الله الرحمن الرحيم) * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) فقرأ بعضهم كذلك وهم طائفة ومنهم من وصلها بقوله (الحمد لله رب العالمين) وكسرت الميم لالتقاء الساكنين وهم الجمهور وحكى الكسائي من الكوفيين عن بعض العرب أنها تقرأ بفتح الميم وصلة الهمزة فيقولون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين فتقلوا حركة الهمزة إلى الميم بعد تسكينها كما قرئ قوله تعالى (الم الله لا إله إلا هو) قال ابن عطية ولم ترد هذه قراءة عن أحد فيما علمت

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

القراء السبعة على ضم الدال في قوله الحمد لله هو مبتدأ وخبر وروى عن سفيان بن عيينة ورؤية بن العجاج أنهما قالا (الحمد لله) بالنصب وهو على إضمار فعل وقرأ ابن أبي عملة الحمد لله بضم الدال واللام إتباعا للثاني الأول وله شواهد لكنه شاذ وعن الحسن وزيد بن علي (الحمد لله) بكسر الدال إتباعا للأول الثاني .

قال أبو جعفر بن جرير معنى (الحمد لله) الشكر لله خالصا دون سائر ما يعبد من دونه ، ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيا العدد ، ولا يحيط بعدها غيره أحد ، في تصحيح الآلات لطاعته وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نهبهم عليه ودعاهم اليه ، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم القيم ، فاربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا . وقال ابن جرير رحمه الله : الحمد لله ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يشنوا عليه فكأنه قال قولوا الحمد لله . قال وقد قيل إن قول القائل الحمد لله ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر وقد نقل السلمي هذا المذهب أنهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية وقال ابن عباس الحمد لله كلمة كل شاكر وقد استدلل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل الحمد لله شكرا وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والتعديدية والشكر لا يكون إلا على التعديدية ويكون بالجنان واللسان والأركان كما قال الشاعر أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين والتحقيق ان بينهما عموما وخصوصا فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون على الصفات اللازمة والتعديدية ، تقول حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه وهو أخص لأنه لا يكون الا بالقول والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات التعديدية لا يقال شكرته لفروسيته وتقول شكرته على كرمه وإحسانه إلى . هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين والله أعلم

وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : الحمد تقيض النعم تقول حمدت الرجل أحمده حمدا ومحمدة فهو حميد ومحمود والتحميد أبلغ من الحمد ، والحمد أعم من الشكر ، وقال في الشكر هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف يقال شكرته وشكرت له وباللام أفصح . وأما المدح فهو أعم من الحمد لأنه يكون للحى وللميت وللجواد أيضا كما يردح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون قبل الإحسان وبعده وعلى الصفات التعديدية واللازمة أيضا فهو أعم

ذكر أقوال السلف في الحمد .

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو معمر القطيعي حدثنا حفص عن حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال عمر رضي الله عنه قد علمنا سبحان الله ولا إله إلا الله فما الحمد لله ؟ فقال علي : كلمة رضا الله لنفسه ، ورواه غير أبي معمر عن حفص فقال قال عمر لعلي - وأصحابه عنده - لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر قد عرفناها فما الحمد لله ؟ قال علي كلمة أحبها الله تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب ان تقال ، وقال علي بن زيد بن جدعان عن يوسف ابن مهران قال ابن عباس الحمد لله كلمة الشكر وإذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي . رواه ابن أبي حاتم ، وروى أيضا هو وابن جرير من حديث بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الحمد لله هو الشكر لله هو الاستخناء له والاقرار له بنعمته وهديته وابتدائه وغير ذلك وقال كعب الأحبار الحمد لله ثناء الله وقال الضحاك الحمد لله رداء الرحمن وقد ورد الحديث بنحو ذلك .

قال ابن جرير حدثنا سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية بن الوليد حدثني عيسى بن إبراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ إذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك وقد روى الامام أحمد بن حنبل حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن بن الأسود بن سريع قال قلت يا رسول الله ألا أنشدك محمداً حمدت بها ربى تبارك وتعالى فقال « أما إن ربك يحب الحمد » ورواه النسائي عن علي بن حجر عن ابن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن بن الأسود بن سريع به. وروى أبو عيسى الحافظ الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث موسى بن إبراهيم بن كثير عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » وقال الترمذي حسن غريب وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ » وقال القرطبي في تفسيره وفي نوادر الأصول عن أنس عن النبي ﷺ قال « لو أن الدنيا بخدافيرها في يد رجل من أمتي ثم قال الحمد لله لكان الحمد لله أفضل من ذلك » قال القرطبي وغيره أى لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى قال الله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً) وفي سنن ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك فضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى الله فقالا ياربنا إن عبداً قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها قال الله وهو أعلم بما قال عبده ماذا قال عبدي؟ قالوا يارب إنه قال لك الحمد يارب كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك . فقال الله لهما « اكتبها كما قال عبدي حتى يلتقاني فأجزيه بها » وحكى القرطبي عن طائفة أنهم قالوا قول العبد الحمد لله رب العالمين أفضل من قوله لا إله إلا الله لاشتمال الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد وقال آخرون لا إله إلا الله أفضل لأنها تفصل بين الإيمان والكفر وعليها يقا تل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله كما ثبت في الحديث المتفق عليه وفي الحديث الآخر « أفضل ما قلت أنا والنيبون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له » وقد تقدم عن جابر مرفوعاً « أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله » وحسنه الترمذي . والألف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى كما جاء في الحديث « اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله » الحديث

والرب هو المالك المتصرف ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للاصلاح وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالاضافة تقول رب الدار رب كذا وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل ، وقد قيل إنه الاسم الأعظم . والعالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله عز وجل والعالم جمع لا واحد له من لفظه والعالم أصناف المخلوقات في السموات وفي البر والبحر وكل قرن منها وجيل يسمى عالماً أيضاً قال بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس (الحمد لله رب العالمين) الحمد لله الذى له الخلق كله السموات والأرض وما فيهن وما بينهن مما نعلم وما لا نعلم . وفي رواية سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس : رب الجن والانس وكذلك قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج وروى عن علي نحوه قال ابن أبي حاتم بإسناده لا يعتمد عليه واستدل القرطبي لهذا القول بقوله تعالى (ليكون للعالمين نذيراً) وهم الجن والانس قال الفراء وأبو عبيد العالم عبارة عما يعقل وهم الانس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم . وعن زيد بن أسلم وأبي محيىن العالم كل ماله روح ترفرف . وقال قتادة رب العالمين كل صنف عالم وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة مروان بن الحكم وهو أحد خلفاء بني امية وهو يعرف بالجمد ويلقب بالحمار أنه قال خلق الله سبعة عشر ألف عالم أهل السموات وأهل الأرض عالم واحد وسائرهم لا يعلمهم إلا الله عز وجل وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى (رب العالمين) قال الانس عالم والجن عالم وماسوى ذلك ثمانية عشر ألف أو أربعة عشر ألف عالم - هو يشك - الملائكة على الأرض وللارض أربع زوايا في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسةائة عالم خلقهم الله لعبادتهم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . وهذا كلام غريب

يحتاج مثله إلى دليل صحيح . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الفرات يعني ابن الوليد عن معتب بن سمي عن سبيع يعني الحميري في قوله تعالى (رب العالمين) قال العالمين ألف أمة فسماثة في البحر وأربعائة في البر وحكى مثله عن سعيد بن المسيب وقد روى نحو هذا مرفوعا كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد ابن علي بن الثني في مسنده : حدثنا محمد بن الثني حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد حدثني محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قلّ الجراد في سنة من سنني عمر التي ولي فيها فسأل عنه فلم يخبر بشيء فاعتم لذلك فأرسل رابعا يضرب إلى اليمن وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق يسأل هل رؤى من الجراد شيء أم لا قال فاتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « خلق الله ألف أمة ستائة في البحر وأربعائة في البر فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك تابعت مثل النظام إذا قطع سلكه » محمد بن عيسى هذا وهو الهلالي ضعيف وحكى البغوي عن سعيد بن المسيب أنه قال لله ألف أمة ستائة في البحر وأربعائة في البر وقال وهب بن منبه لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها وقال مقاتل العوالم ثمانون ألفا وقال كعب الأحمار لا يعلم عدد العوالم إلا الله عز وجل نقله كله البغوي . وحكى القرطبي عن أبي سعيد الخدري أنه قال إن لله أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها إلى مغربها عالم واحد منها . وقال الزجاج العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة قال القرطبي وهذا هو الصحيح انه شامل لكل العالمين كقوله (قال فرعون وما رب العالمين ؟ * قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) والعالم مشتق من العلامة (قلت) لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانته كما قال ابن المعتز :

فيا عجا كيف يعصى الاله أم كيف يجحد الجاحد وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وقوله تعالى (الرحمن الرحيم) تقدم الكلام عليه في البسمة بما أغنى عن الاعداد قال القرطبي إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد التهيب كما قال تعالى (نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم) وقوله تعالى (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) قال فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم ترغيب وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد »

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

قرأ بعض القراء (ملك يوم الدين) وقرأ آخرون (مالك) وكلاهما صحيح متواتر في السبع ويقال ملك بكسر اللام وباسكانها ويقال ملك أيضا وأشجع نافع كسرة الكاف فقرأ (ملكي يوم الدين) وقد رجح كلا من القراءتين مرجحون من حيث المعنى وكلاهما صحيحة حسنة ورجح الزمخشري ملك لأنها قراءة أهل الحرمين وقوله (لمن الملك اليوم * قوله الحق وله الملك) وحكى عن أبي حنيفة أنه قرأ (ملك يوم الدين) على أنه فعل وفاعل ومفعول وهذا شاذ غريب جداً وقد روى أبو بكر بن أبي داود في ذلك شيئاً غريباً حيث قال حدثنا أبو عبد الرحمن الأزدي حدثنا عبد الوهاب بن عدى بن الفضل عن أبي الطرف عن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرءون (مالك يوم الدين) قال ابن شهاب وأول من أحدث « ملك » مروان (قلت) مروان عنده علم بصحة ما قرءوه لم يطلع عليه ابن شهاب والله اعلم . وقد روى من طرق متعددة أوردها ابن مردويه ان رسول الله ﷺ كان يقرؤها (مالك يوم الدين) ومالك مأخوذ من الملك كما قال تعالى (إنا نحن نزلت الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون) وقال (قل اعوذ برب الناس ملك الناس) وملك مأخوذ من الملك كما قال تعالى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) وقال (قوله الحق وله الملك) وقال (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومنا على الكافرين عسيرا) وتخصيص الملك بيوم الدين لا يفييه عما عداه لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين وذلك عام

في الدنيا والآخرة وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعى أحد هناك شيئاً ولا يتكلم أحد إلا بأذنه كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) وقال تعالى (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً) وقال تعالى (يوم يأتي لاتكلم نفس إلا بأذنه فمنهم شقي وسعيد) وقال الضحاك عن ابن عباس (مالك يوم الدين) يقول لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكماً كملكهم في الدنيا قال ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر إلا من عفا عنه وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه ذهب إلى أن تفسير مالك يوم الدين أنه القادر على إقامته ثم شرع يضعفه والظاهر أنه لامنافاة بين هذا القول وما تقدم وأن كلام من القائلين بهذا القول وبما قبله يعترف بصحة القول الآخر ولا ينكره ولكن السياق أدل على المعنى الأول من هذا كما قال تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومها على الكافرين عسيراً) والقول الثاني يشبه قوله تعالى (ويوم يقول كن فيكون) والله أعلم . والملك في الحقيقة هو الله عز وجل قال الله تعالى (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً « أخرج اسم عند الله رجل تسمى بملك الأملاك ولا مالك إلا الله » وفيها عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقبض الله الأرض ويطوى السماء يمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » وفي القرآن العظيم (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) فاما تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز كما قال تعالى (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) (وكان وراءهم ملك) (إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً) وفي الصحيحين « مثل الملوك على الأسرة » .

والدين الجزاء والحساب كما قال تعالى (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق) وقال (أننا لمدينون) أى مجزيون محاسبون وفي الحديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت » أى حاسب نفسه كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا ووزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء من إياك وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر وهي قراءة شاذة مردودة لأن إياضوء الشمس وقرأ بعضهم إياك بفتح المعزة وتشديد الياء وقرأ بعضهم هياك بالهاء بدل المعزة كما قال الشاعر :

فهبك والأمر الذي إن تراحت موارد ضاقت عليك مصادره

ونستعين بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوى يحيى بن وثاب والأعمش فانهما كسراها وهي لغة بني أسد وريعية وبني تميم ، والعبادة في اللغة من الدالة يقال طريق معبد ويعبر معبد أى مذلل وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف . وقدم المفعول وهو إياك وكرر للاهتمام والحصر أى لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك وهذا هو كمال الطاعة . والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين ، وهذا كما قال بعض السلف الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة (إياك نعبد وإياك نستعين) فالأول تبرؤ من الشرك والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله عز وجل وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه وماربك بغافل عما تعملون) (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً) وكذلك هذه الآية الكريمة (إياك نعبد وإياك نستعين) وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة لأنه لما أتى على الله فكأنه اقترب وحضرين يدي الله تعالى فلماذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) وفي هذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بحمिल صفاته الحسنى وإرشاد لعباده بان يتنوا عليه بذلك ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه كما جاء في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »

وفي صحيح مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل إذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي ، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله أثني على عبدي ، فإذا قال العبد (الدين) قال الله حمدني عبدي ، وإذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل » وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (إياك نعبد) يعني إياك نوحد ونخاف ونرجوك ياربنا لا غيرك (وإياك نستعين) على طاعتك وعلى أمورنا كلها وقال قتادة (إياك نعبد وإياك نستعين) يأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوا على أموركم وإنما قدم (إياك نعبد) على (وإياك نستعين) لأن العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم والله أعلم . فان قيل : فما معنى النون في قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فان كانت للجمع فالله اعلم واحد وإن كانت للعظيم فلا يناسب هذا المقام ؟ وقد أوجب بأن المراد من ذلك الاخبار عن جنس العباد والصلى فرد منهم ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها وتوسط لهم بخير ومنهم من قال يجوز أن تكون للعظيم كأن العبد قيل له إذا كنت داخل العبادة فأنت شريف وجهك عريض فقل (إياك نعبد وإياك نستعين) وإن كنت خارج العبادة فلا تقل نحن ولا فعلنا ولو كنت في مائة ألف أو ألف أنف لاحتياج الجميع إلى الله عز وجل وقرهم إليه . ومنهم من قال إياك نعبد أطف في التواضع من إياك عبدنا لما في الثاني من تعظيم نفسه من جعله نفسه وحده أهلا لعبادة الله تعالى الذي لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادته ولا يثنى عليه كما يليق به والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى كما قال بعضهم :

لا ندعى إلا بعبادها فانه أشرف أسمائى

وقد سمي الله رسوله ﷺ بعبده في أشرف مقاماته فقال (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) فسماه عبداً عند أنزاله عليه وعند قيامه في الدعوة وإسرائه به وأرشدته إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقد حكى الرازي في تفسيره عن بعضهم أن مقام العبودية أشرف من مقام الرسالة لكون العبادة تصدر من الخلق إلى الحق والرسالة من الحق إلى الخلق ؛ قال ولأن الله يتولى مصالح عبده والرسول يتولى مصالح أمته ، وهذا القول خطأ والتوجيه أيضا ضعيف لا حاصل له ولم يتعرض له الرازي بتضعيف ولا رد . وقال بعض الصوفية العبادة إما لتحصيل ثواب أو درء عقاب قالوا وهذا ليس بطائل إذ مقصوده تحصيل مقصوده ، وإما للترشيف بتكاليف الله تعالى وهذا أيضا عندهم ضعيف بل العالى أن يعبد الله لذاته المقدسة الموصوفة بالكمال قالوا ولهذا يقول المصلى : أصلى لله ولو كان لتحصيل الثواب ودرء العقاب لبطلت الصلاة وقدر ذلك عليهم آخرون وقالوا : كون العبادة لله عز وجل لا ينافي أن يطلب معها ثوابا ولا أن يدفع عبدا كما قال ذلك الأعرابي : أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ إنما أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فقال النبي ﷺ « حولها ندندن »

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

قراءة الجمهور بالصاد وقرى السراط وقرى بالزاي قال القراء وهي لغة بني عذرة وبني كلب لما تقدم الثناء على المسئول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال « نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله (اهدنا الصراط المستقيم) لأنه أتبع للحاجة وأتبع للجاجة ولهذا أرشد الله إليه لأنه الأكمل وقد يكون السؤال بالاخبار عن حال السائل واحتياجه كما

قال موسى عليه السلام (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) وقد يتقدمه مع ذلك وصف مسئول كقول ذي النون (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) وقد يكون بمجرد الشناء على المسئول كقول الشاعر :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيعتك الحياء إذا أتني عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الشناء

والهداية ههنا الإرشاد والتوفيق وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا (اهدنا الصراط المستقيم) فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو أعطنا (وهديناه النجدين) أي بينا له الخير والشر وقد تعدى بإلى كقوله تعالى (اجتبه وهداه إلى صراط مستقيم) (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة وكذلك قوله (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) وقد تعدى باللام كقول أهل الجنة (الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي وفقنا لهذا وجعلنا له أهلا .

وأما الصراط المستقيم فقال الإمام أبو جعفر بن جرير أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وذلك في لغة جميع العرب فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي :

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

قال والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر قال ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل ووصف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والاعوج باعوجاجه .

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط ، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول فروى أنه كتاب الله قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثني يحيى بن يمان عن حمزة الزيات عن سعيد وهو ابن المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الصراط المستقيم كتاب الله » وكذلك رواه ابن جرير من حديث حمزة ابن حبيب الزيات وقد تقدم في فضائل القرآن فيما رواه أحمد والترمذي من رواية الحارث الأعور عن علي مرفوعاً « وهو جبل الله التين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم » وقد روى موقوفاً على علي رضى الله عنه وهو أشبه والله أعلم وقال الثوري عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال الصراط المستقيم كتاب الله : وقيل هو الاسلام قال الضحاك عن ابن عباس قال : قال جبريل لمحمد عليهما السلام « قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم » يقول ألهمنا الطريق الهادي وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) قال ذلك الاسلام وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ اهدنا الصراط المستقيم قالوا هو الاسلام وقال عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر اهدنا الصراط المستقيم قال هو الاسلام أوسع مما بين السماء والأرض وقال ابن الحنفية في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم اهدنا الصراط المستقيم قال هو الاسلام وفي هذا الحديث الذي رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ليث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح أن عبدالرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال « ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الانسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه - فانك إن تفتحه تلجه - فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد بن سويد بن سميان الترمذي والنسائي جميعاً عن علي بن حجر عن بقة عن مجير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به . وهو إسناد حسن صحيح والله أعلم . وقال مجاهد اهدنا الصراط المستقيم قال الحق وهذا أشبه ولا منافاة بينه وبين ما تقدم وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث أبي الضر هاشم بن القاسم أنا حمزة بن المغيرة عن عاصم

الأحول عن أبي العالية (إهدنا الصراط المستقيم) قال هو النبي ﷺ وصاحبه من بعده قال عاصم فذكرنا ذلك للحسن فقال صدق أبو العالية ونصح . وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة فإن من اتبع النبي ﷺ واقتدى باللذين من بعده أي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الاسلام ومن اتبع الاسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا والله الحمد وقال الطبراني حدثنا محمد بن الفضل السقطي حدثنا ابراهيم بن مهدي الصيصي حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال الصراط المستقيم الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ . ولهذا قال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعنى - اهدنا الصراط المستقيم - أن يكون معناه به وفقنا للثبات على ما ارتضيناه ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل وذلك هو الصراط المستقيم لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للاسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمره الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهاج النبي ﷺ ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم .

(فان قيل) فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك ؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا ؟

فالجواب أن لا ، ولولا احتياجه ليلا ونهارا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك فان العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمهده بالمعونة والثبات والتوفيق فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فانه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر اليه آتاء الليل وأطراف النهار وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل) الآية فقد أمر الذين آمنوا بالايمان وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك والله أعلم . وقال تعالى آمرا لعباده المؤمنين أن يقولوا (ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) وقد كان الصديق رضى الله عنه يقرأ هذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرا فمعنى قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) استمر بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

قد تقدم الحديث فيما إذا قال العبد اهدنا الصراط المستقيم إلى آخرها أن الله يقول « هذا لعبدى ولعبدى ماسأل » وقوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) مفسر للصراط المستقيم وهو بدل منه عند النجاة ويجوز أن يكون عطف بيان والله أعلم . والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليا) وقال الضحاك عن ابن عباس صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأبيائك والصديقين والشهداء والصالحين وذلك نظير ما قال ربنا تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الآية . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس (صراط الذين أنعمت عليهم) قال هم النبيون وقال ابن جريج عن ابن عباس هم المؤمنون ، وكذا قال مجاهد وقال وكيع هم المسلمون وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم النبي ﷺ ومن معه والتفسير المتقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما أعم وأشمل والله أعلم .

وقوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قرأ الجمهور غير بالجر على النعت قال الزمخشري وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في

عليهم والعامل أنعمت والمعنى اهدنا الصراط المستقيم صراط الدين أنعمت عليهم بمن تقدم وصفهم ونعمتهم وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله وامثال أوامره وترك نواهيه وزواجه غير صراط الغضوب عليهم وهم الذين فسدت إرادتهم فعملوا الحق وعدلوا عنه ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق . وأكد الكلام بلا يدل على أن ثم مسلكين فاسدين وهما طريقة اليهود والنصارى وقد زعم بعض النحاة أن غير ههنا استثنائية فيكون على هذا منقطعاً لاستثنائهم من النعم عليهم وليسوا منهم وما أوردناه أولى لقول الشاعر :

كأنك من جمال بنى أقيش * يقعقع عند رجليه بشن

أى كأنك جمل من جمال بنى أقيش فحذف الموصوف واكتفى بالصفة وهكذا غير الغضوب عليهم أى غير صراط الغضوب عليهم اكتفى بالضاف اليه عن ذكر المضاف وقد دل عليه سياق الكلام وهو قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الدين أنعمت عليهم) ثم قال تعالى (غير الغضوب عليهم) ومنهم من زعم أن لا في قوله تعالى ولا الضالين زائدة وأن تقدير الكلام عنده غير الغضوب عليهم والضالين واستشهد بيت العجاج

في بئر لاجور * سعى وما شعر

أى في بئر حور والصحيح ما قدمناه ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقرأ غير الغضوب عليهم وغير الضالين وهذا إسناد صحيح وكذلك حكى عن أبي بن كعب أنه قرأ كذلك وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التفسير . فيدل على ما قلناه من أنه إنما جرىء بلالنا كيدالني لثلاثيهم أنه معطوف على الذين أنعمت عليهم وللفرق بين الطريقتين ليجتنب كل واحد منهما فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به واليهود فقدوا العمل والنصارى فقدوا العلم ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى لأن من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقه لانهم لم يأتوا الامر من بابه وهو اتباع الحق ضلوا وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم (من لعنه الله وغضب عليه) وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم (قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وبهذا جاءت الاحاديث والآثار وذلك واضح بين فيما قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت سماك بن حرب يقول سمعت عباد بن حيش يحدث عن عدى بن حاتم قال جاءت خيل رسول الله ﷺ فأخذوا عمى وناساً فلما أتوا بهم إلى رسول الله ﷺ صفوا له فقالت يارسول الله : نأى الوافد واقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمن على من الله عليك قال « من وافدك ؟ » قالت عدى بن حاتم قال « البنى فر من الله ورسوله » قالت فمن على فلما رجع ورجل إلى جنبه ترى أنه على قال سليه حملانا فسألته فأمر لها قال فأنتى فقالت لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها فانه قد أتاه فلان فأصاب منه وأناه فلان فأصاب منه فأتيته فاذا عنده امرأة وصبيان وذكر قربهم من النبي ﷺ قال فعرفت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر فقال يا عدى ما أفرك ؟ أن يقال لا إله إلا الله ؟ فهل من إله إلا الله ما أفرك ؟ أن يقال الله أكبر فهل شيء أكبر من الله عز وجل قال فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال إن الغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى وذكر الحديث ورواه الترمذى من حديث سماك بن حرب وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه (قلت) وقد رواه حماد بن سلمة عن سماك عن مري بن قطرى عن عدى بن حاتم قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (غير الغضوب عليهم) قال هم اليهود (ولا الضالين) قال النصارى هم الضالون وهكذا رواه سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبي عن عدى بن حاتم به وقد روى حديث عدى هذا من طرق وله الفاظ كثيرة يطول ذكرها وقال عبد الرزاق أنا معمر عن بديل العقيلي اخبرنى عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع رسول الله ﷺ وهو بوادى القرى على فرسه وسأله رجل من بنى القين فقال يارسول الله من هؤلاء قال الغضوب عليهم وأشار إلى اليهود والضالون هم النصارى وقد رواه الجريري

وعروة وخالد الخذاء عن عبد الله بن شقيق فأرسلوه ولم يذكره من سمع النبي ﷺ ووقع في رواية عروة تسمية عبد الله بن عمرو فإله أعلم وقد روى ابن مردويه من حديث إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ عن المغضوب عليهم قال اليهود قلت الضالين قال النصارى وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ غير المغضوب عليهم هم اليهود ولا الضالين هم النصارى وقال الضحاك وابن جريج عن ابن عباس غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وكذلك قال الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال ابن أبي حاتم ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافا وشاهد ما قاله هؤلاء الأمة من أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون الحديث المتقدم وقوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في سورة البقرة (بئس ما اشترأوا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين) وقال في المائدة (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) وقال تعالى (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وفي السيرة عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف قالت له اليهود إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله فقال أنا من غضب الله أقر وقالت له النصارى إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سخط الله فقال لا أستطيعه فاستمر على فطرته وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى وأما أصحابه فتنصروا ودخلوا في دين النصرانية لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك وكان منهم ورقة بن نوفل حتى هداه الله بنبيه لما بعثه آمن بما وجد من الوحي رضى الله عنه

﴿مسئلة﴾ والصحيح من مذاهب العلماء أنه يفتقر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والطاء لقرب مخرجيهما وذلك أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس ومخرج الطاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ولأن كلا من الحرفين من الحروف المجهورة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك والله أعلم وأما حديث أنا أفصح من نطق بالضاد فلا أصل له والله أعلم

﴿فصل﴾ اشتملت هذه السورة الكريمة وهي سبع آيات على حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين وعلى إرشاده عبيده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبرئ من حولهم وقوتهم وإلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالى وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم وهو الدين القويم وتثبيتهم عليه حتى يقضى لهم بذلك إلى جواز الصراط الحسية يوم القيامة المفضى بهم إلى جنات النعيم في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون وما أحسن ماجاء إسناد الانعام إليه في قوله تعالى (صراط الدين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم) وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى (غير المغضوب عليهم) وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) الآية وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان هو الذي اضلهم بقدره كما قال تعالى (من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن يبدله وليا مرشدا) وقال (من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المفرد بالهداية والاضلال لا كما تقول الفرقة القدرية ومن هذا حدوهم من أن العبادهم الذين يختارون ذلك ويفعلونه ويحتجون على بدعتهم بمتشابهة من القرآن ويتكلمون ما يكون فيه صريحا في الرد عليهم : وهذا حال أهل الضلال والغي وقد ورد في الحديث الصحيح « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » يعني في قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ

فيبتعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) فليس ، بحمد الله ، لبتدع في القرآن حجة صحيحة لأن القرآن جاء ليفصل الحق من الباطل مفرقا بين الهدى والضلال وليس فيه تناقض ولا اختلاف لأنه من عند الله تنزيل من حكيم حميد

﴿فصل﴾ يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يس ويقال آمين بالقصر أيضا ومعناه اللهم استجب والدليل على استحباب التأمين مارواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر قال سمعت النبي ﷺ قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقال آمين مد بها صوته ، ولأبي داود رفع بها صوته ، وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى عن علي وابن مسعود وغيرهم . وعن أبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ إذا تلا (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال « آمين » حتى يسمع من يليه من الصف الأول رواه أبو داود وابن ماجه وزاد فيه فيرتج بها المسجد . والدارقطني وقال . هذا إسناد حسن . وعن بلال أنه قال : يارسول الله لا تسقني بآمين رواه أبو داود وتقل أبو نصر القشيري عن الحسن وجعفر الصادق أنهما شددا الميم من آمين مثل (آمين البيت الحرام) قال أصحابنا وغيرهم ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة ، ويتأكد في حق الصلي ، وسواء كان منفردا أو إماما أو مأموما وفي جميع الأحوال لما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا أمن الامام فأمنوا فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » ولمسلم أن رسول الله ﷺ قال « إذا قال أحدكم في الصلاة آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه » قيل بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان وقيل في الاجابة وقيل في صفة الاخلاص وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعا « إذا قال - يعني الامام - ولا الضالين قمرلوا آمين يحكم الله » وقال جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال قلت يارسول الله ما معنى آمين ؟ قال « رب افعل » وقال الجوهري معنى آمين كذلك فليكن . وقال الترمذي معناه لا تخيب رجاءنا . وقال الأكثر من معناه اللهم استجب لنا . وحكى القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف أن آمين اسم من أسماء الله تعالى وروى عن ابن عباس مرفوعا ولا يصح قاله أبو بكر ابن العربي المالكي . وقال أصحاب مالك لا يؤمن الإمام ويؤمن المأموم لما رواه مالك عن سمى عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « وإذا قال - يعني الامام - ولا الضالين فقولوا آمين » الحديث واستأنسوا أيضا بحديث أبي موسى عند مسلم « وإذا قرأ ولا الضالين فقولوا آمين » وقد قدمنا في المتفق عليه « إذا أمن الامام فأمنوا » وأنه عليه الصلاة والسلام كان يؤمن إذا قرأ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين للمأموم في الجهرية وحاصل الخلاف أن الامام إن نسي التأمين جهر المأموم به قول واحد وإن أمن الامام جهر فالجديد أنه لا يجهر المأموم وهو مذهب أبي حنيفة ورواية عن مالك لأنه ذكر من الأذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصلاة . والقديم أنه يجهر به وهو مذهب الامام أحمد بن حنبل والرواية الأخرى عن مالك لما تقدم « حتى يرتج المسجد » ولنا قول آخر ثالث أنه إن كان المسجد صغيرا لم يجهر المأموم لأنهم يسمعون قراءة الامام وإن كان كبيرا جهر ليبلغ التأمين من في أرجاء المسجد والله أعلم . وقد روى الامام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ ذكرت عنده اليهود فقال « إنهم لن يحسدونا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين » ورواه ابن ماجه ولفظه « ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين » وله عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على قول آمين فأكثروا من قول آمين » وفي إسناده طلحة بن عمرو وهو ضعيف وروى ابن مردويه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعطيت آمين في الصلاة وعند الدعاء لم يعط أحد قبلي إلا أن يكون موسى كان يدعو وهرون يؤمن فاختموا الدعاء بآمين فان الله يستجيب لكم » (قلت) ومن هنا نزع بعضهم في الدلالة بهذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة وأمواالا في الحياة الدنيا ربنا ليصنوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا

العذاب الأليم * قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون (فذكر الدعاء عن موسى وحده ومن سياق الكلام ما يدل على أن هرون آمن فنزل منزلة من دعا لقوله تعالى (قد أجيبت دعوتكما) فدل ذلك على أن من آمن على دعاء فكأنما قاله فلهذا قال من قال إن المأموم لا يقرأ لأن تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها ولهذا جاء في الحديث « من كان له إمام فقرأه الامام له قراءة » رواه أحمد في مسنده وكان بلال يقول لا تسبقني بآمين يارسول الله . فدل هذا النزاع على أن المأموم لا قراءة عليه في الجهرية والله أعلم ولهذا قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا عبدالله بن محمد بن سلام حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا جرير عن ليث عن ابن أبي سليم عن كعب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا قال الامام غير المنضوب عليهم ولا الضالين ، فقال آمين ، فوافق آمين أهل الأرض آمين أهل السماء غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه ومثل من لا يقول آمين كمثل رجل غزاع قوم فاقترعوا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فقال لم يخرج سهمي ؟ قيل إنك لم تقل آمين »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * رب يسر وأعن يا كريم *

تفسير سورة البقرة

(ذكر ما ورد في فضلها) قال الامام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال « البقرة سننام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة ، ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له واقروها على موتاكم » انفرد به أحمد وقد رواه أحمد أيضا عن عارم عن عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان - وليس بالهندي - عن أبيه عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ « اقرءوها على موتاكم » يعني يس . فقد تبينا بهذا الاسناد معرفة المهب في الرواية الأولى . وقد أخرج هذا الحديث على هذه الصفة في الرواية الثانية أبو داود والنسائي وابن ماجه ، وقد روى الترمذي من حديث حكيم بن جبير وفيه ضعف عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لكل شيء سننام وإن سننام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي » وفي مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا تجعلوا بيوتكم قبورا فان البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان » وقال الترمذي حسن صحيح وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان يخرج من البيت اذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه » سنان بن سعد ويقال بالعكس وثقه ابن معين واستنكر حديثه أحمد بن حنبل وغيره . وقال أبو عبيد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الأحوص عن عبد الله يعني ابن مسعود رضى الله عنه قال ان الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة ورواه النسائي في اليوم والليلة وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث شعبة ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا أبو إسحاق الترمذي حدثنا أيوب بن سليمان بن بلال حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن محمد بن عجلان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « لا ألفين أحدكم يضع إحدى رجله على الأخرى يتغنى ويدع سورة البقرة يقرؤها فان الشيطان ينفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة وان أصغر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله » وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن نصر عن أيوب بن سليمان به وروى الدارمي في مسنده عن ابن مسعود قال ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة الا خرج منه الشيطان وله ضراط وقال إن لكل شيء سناما وان سننام القرآن سورة البقرة وان لكل شيء لبابا وان لباب القرآن للمفصل . وروى أيضا من طريق الشعبي قال : قال عبد الله بن مسعود من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان